المقامة الدينارية لبديع الزمان الهمذاني

الدكتور عوض محمد الدوري
جامعة تكريت . كلية التربية / سامراء . قسم اللغة العربية

المقصود بالمقامة[١] :

المقامة لغة :

١. في الجاهلية تعني :

أ. مجلس القبيلة او ناديها بدلالة قول زهير[٢] :

وفيهم مقامات حسان وجوهها وأندية ينتابها القول والفعل[٣]

ب. الجماعة التي يضمهم المجلس او النادي بدلالة قول لبيد :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام[٤][٥]

٢. في الإسلام تعني الخطبة او المحاضرة التي تلقى في مجالس الخلفاء والملوك وتدور في الغالب على الوعظ والتزهد .

ويتابع المستشرق بروكلمان لفظة المقامة في ادوارها فيقسمها حسب دلالتها الى ثلاثة انواع هي :

أ. الدلالة الاجتماعية في الجاهلية .

ب. الدلالة الدينية عند الامويين .

ج. الدلالة الادبية فيما بعد .

المقامة اصطلاحًا :

تعني تعبيراً جامعا لأحاديث أدبية ، أنيقة الأسلوب ، سياقها سرد قصص ، مدارها الكدية ، وعرض جوانب من اللغة والعلم والاجتماع ، أريد بها التعليم أول الأمر .

وأول من أطلق عليها هذه التسمية هو بديع الزمان الهمذاني ، الذي كان يصوغ الأحاديث التي تلقى على الجماعات في شكل قصص قصيرة يتخذ لها راويا واحدا وبطلا واحدا يظهر في شكل أديب شحاذ .

يقول القلقشندي في المقامات[٦] :

((هي جمع مقامة بفتح الميم ، وهي في أصل اللغة اسم للمجلس والجماعة من الناس ، وسميت الأحدوثة من الكلام مقامة ، كأنها تذكر في مجلس واحد يجتمع فيه الجماعة من الناس لسماعها . أما المقامة بالضم ، فبمعنى الإقامة ، ومنه قوله ﷻ عن أهل الجنة : ﴿ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٧] .

ويؤيد رأي القلقشندي شوقي ضيف برأي قريب جدا يقول فيه : ((وعلى هذه الشاكلة تعفى الكلمة من معنى القيام وتصبح دالة على حديث الشخص في المجلس سواء أكان قائما أم جالسا ..)) [٨] .

إما فيكتور الكك فيقول : ((المقامة حديث قصير من شطحات الخيال أو دوامة الواقع اليومي في أسلوب مصنوع مسجع تدور حول بطل أفاق أديب شحاذ يحدث عنه وينشر طوينه رواية جوالة قد يلبس جبة البطل أحيانا .

وغرض المقامة البعيدة هو إظهار الاقتدار على مذاهب الكلام وموارده ومصادره في عظة بليغة ، تقلقل الدراهم في أكياسها ، أو نكتة أدبية طريفة ، أو نادرة لغوية لطيفة ، أو أشارة لفظية طفيفة ...)) [٩] .

العلاقة بين المقامة والقصة أو المسرحية :

لقد ظن بعض الباحثين في عصرنا الحاضر أن المقامة هي نوع من القصص وقارن بينها وبين الأقصوصة الحديثة مثل الدكتور صفاء خلوصي عندما اعتبرها اقرب إلى طبيعة الأقصوصة مستندا إلى تعريف (ايدكار آلن بو) ــ رائد الأقصوصة الأمريكي ــ القائل[١٠] : ((الأقصوصة هي تلك القطعة الأدبية التي تقرأ في جلسة واحدة ، وتستغرق قراءتها في الغالب من عشر دقائق إلى نصف ساعة ، وتتمثل فيها وحدة الدافع والتأثير ، وهي على الأكثر تجربة شعورية واحدة غرضها توسيع فكرة صغيرة ، أو إثارة الانتباه إلى قضية قد تكون في حد ذاتها تافهة بعد وضعها في إطار جذاب ..)) .

ثم يستدرك خلوصي قائلاً : ((والمقامة هي النوع الوحيد من القصة التي أبيحت كتابتها لذوي المكانة من المؤلفين ...)) ويقول : ((ومع ذلك فهي أقصوصة كاملة من جميع الوجوه الفنية ، لذلك فقد آن لنا أن نصحح خطأ شائعا عند دارسي الفنون الأدبية وهي أن الأميركيين أول من اكتشف (الأقصوصة) وكان رائدها (ايدكار آلن بو) ، والحق أن العرب أول من اكتشفها يوم نسجوا من الحوادث الصغيرة التافهة وحدات أدبية فنية جميلة ، والفرق الوحيد بين الاكتشافين هو أن الأول وضع ليقرأ بالأذن فلا بد له من جمال الموسيقى ، ووضع الثاني ليقرأ بالعين فلا بد له من جمال الوصف والحركة التمثيلية ، كتبت الأولى للمجالس وكتبت الثانية للصحف السيارة يوم أعرضت عن نشر الروايات المتسلسلة لتسلية قرائها فعمدت إلى تقليص الرواية وتقليل عدد أبطالها بحيث يمكن نشرها في عدد واحد ، وتقرأ عادة بعد الفراغ من الإخبار المحلية والعالمية في جلسة واحدة ، ويرى المتتبع أن عدد إبطال المقامة جد قليل فهم لا يزيدون على اثنين أو ثلاثة .. وهذا أيضاً من الشروط المهمة لنجاح الأقصوصة الفنية)) .. ((ولكننا إذا ما أخذنا الأقصوصة الفنية الاعتيادية وقارناها بأية

مقامة اعتيادية لم نجد فارقا بين الاثنين من حيث توافر الشروط الفنية والخصائص الأساسية ..)) .

بينما يذكر الكك[١١] : ((أن المقامة تختلف عن الأقصوصة في أنها لا تهتم إلا ببطل واحد وبذلك تتشابه مواقفه تشابها كليا أحيانا ، ولا تختلف إلا في أساليب احتياله ، بينما تستقل كل أقصوصة بموضوعها الخاص وحوادثها الخاصة ... ثم أن المقامة تنحصر في حيل البطل وتهمل سواه ، فلا توضح علاقته بهم إلا بعبارات مبهمة عامة ، ولا تكشف لنا من نفسياتهم إلا جوانب باهته لا يعتد بها ..)) .

ويؤيده شوقي ضيف قائلا[١٢] : ((وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة ، فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط ، أما في حقيقتها فحيلة يطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة ، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة بل أن الحادثة التي تحدث للبطل لا أهمية لها إذ ليست هي الغاية أنما الغاية التعليم والأسلوب الذي تعرض به الحادثة ، ومن هنا جاءت غلبة اللفظ على المعنى في المقامة)) .

فأسلوب المقامات لا يداني من قريب أو من بعيد اسلون الأقصوصة لكونه أسلوبا مثقلا بالألفاظ الغريبة والتعابير البلاغية ، فلا مجال فيه لبساطة السرد وسهولة الأداء القصصي ...

وفي الوقت الذي ظن البعض أن المقامة أقصوصة ظن آخرون أنها مسرحية لتوافر بعض شروط المسرح فيها مثل كونها مغامرات تشتمل على إطار أشبه بالإطار المسرحي الدرامي ... من حيث الحبكة والعقدة والحوار والمشهد والمكان والزمان ...

ونخلص مما تقدم إلى نتيجة ثابتة وهي أن المقامة ليست قصة أو مسرحية وإنما هي حديث أدبي بليغ ...

خصائص المقامات :

بما أن المقامة ليست قصة بمعناها الكامل في عصرنا الحديث لكنها تشتمل على عناصر قصصية من حيث مضمونها وتصويرها لعناصر الشر والفساد في المجتمع فضلاً عن كونها تهدف إلى تعليم الناشئة الأساليب الأنيقة ، فلا غرابة إذا جاءت غلبة اللفظ على المعنى فيها ، فالمعنى ليس شيئاً مذكورًا إنما خيط ضئيل تنشر عليه الغاية التعليمية ..

مما جعل المقامة تنحو نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها ، فالقصص ليس أساسا وإنما الأساس العرض الخارجي والحيلة اللفظية فكأنما قيد أصحاب المقامات عقولهم وسمحوا لالسنتهم ولم يتجهوا بالمقامة في وصف حوادث النفس وحركاتها ، ولا العكوف على الوجدانيات والمشاعر والعواطف تحليلها ، بل اتجهوا إلى ناحية لفظية ، إذ كان اللفظ فتنة

القوم ، وكان السجع كل ما لغتهم من جمال في اللغة وأساليبها ، وكانت ألوان البديع كل ما راعهم منها ومن أسرارها .. فقد وظفوها لا في تعليم الأساليب الأدبية الأنيقة فحسب بل في مختلف الشؤون الثقافية ، فحملوها نحوا وفقها وطبا ، ووضعوا فيها مناظرات خيالية ، كما وضعوا بها أحياناً جوانب من مجتمعاتهم .. بأسلوب مسجوع مثقل باللغة وألفاظها العويصة مما يدل على المهارة والبراعة في استعمال البديع وفنونه .

إغراض المقامات :

لقد كان الغرض الاساس من المقامة في البداية هو التعليم وإيصال مدلولات اللغة إلى الناشئة بأسلوب أنيق ، وساخر ، وممتع ... لكننا نجد أن إغراض المقامات تشعبت وتغيرت بتغير طبيعة وواقع المجتمع .. ولا نريد في هذا المجال تفصيل وأغراضها بقدر ما نتحدث بإيجاز عن ابرز الإغراض التي طرقتها المقامة وهي :

١. **الكدية**[١٣] : وهي موضوع المقامة أصلا وأولى أهداف إنشائها.
٢. **المقدرة اللغوية والتعليم** : أن أصحاب المقامات كان شغلهم الشاغل هو إبراز قدراتهم اللغوية وإلمامهم بمفرداتها وتمكنهم من تركيبها مجازيا .. لذا نراهم يعمدون إلى المفردات الصعبة والحوشية وتطعيمها بآيات قرآنية ومقاطع شعرية وحكم وأمثال .
٣. **النقد الأدبي** : من صفات التمكن باللغة المقدرة على التلاعب بالمجازات والبديع وكيفية استخدام اللفظة في التعبير ، يقابلها الإمكانية على نقد أساليب الآخرين واستنكار ضعف وسهولة تعابيرهم والدعوة للارتفاع بها إلى مستويات أفضل .
٤. **النقد الاجتماعي** : بما أن مسببات ابتكار المقامة هي الإمراض التي كان يئن منها المجتمع ، من ظهور طبقات جديدة تعيش على حساب استغلال الفقراء والضعفاء ، لا بد أن يكون غرض المقامة هو نقد المجتمع ووصف الحالات الاجتماعية المقيتة وتحديد سبل علاجها فبعض المقامات لوحات موحيه ، بل مرآة عاكسة لواقع طبقات المجتمع وما تعانيه من تناقضات كفساد القضاء واستعمال الدين والشرع واجهة للاحتيال على البسطاء من الناس.
٥. **الوصف** : له مكانة خاصة في المقامات ، يظهر أثناء السرد ، وأحياناً يأتي مقصودًا ، ليظهر الأديب فيه أمكاناته وطاقاته وقدراته اللغوية لرسم صور تامة عن الحالات التي يعالجها .
٦. **الدين** : نظرا لوجود فرق وجماعات تنخر في جسد المجتمع الإسلامي، كان لا بد لصناع المقامات من إبداء رأي في هذه الفرقة أو تلك الطائفة ، لتفنيد دعواها وكشف أسرارها أو بالتعريف لإغراضها.

٧. **التكسب** : وهو الوسيلة التي سخرها بعض أصحاب المقامات ، وانضوى تحتها شعر المدح ، لتطريز تعابيرهم المرصعة بالبديع ، لابتزاز الأموال وتحقيق مآربهم ، فقد انقلبت الموازين وأصبح النثر وسيلة التكسب واستمالة الممدوحين ، عكس ما كان الشعر وسيلة استعطاف الممدوحين .. فاتجه الشعراء خلف النثر لتوليد المعاني والصور الأدبية الأنيقة لاستخدامها في التكسب ، بينما كان الأدباء يتجهون خلف الشعراء لترصيع تعابيرهم بمقاطع شعرية مؤثرة ومثيرة.

تاريخ المقامة عند العرب :

إن تاريخ المقامة عند العرب هو القرن الرابع الهجري إذ نضجت فيه وظهرت على صورتها التامة ، فأصبحت أنموذجاً يحتذى به في العصور السالفة .

أما أول من أوحى بموضوع المقامة للأدباء من بعده ، فهو الجاحظ (ت٢٥٥هـ)[١٤] في رسالة عن (الكدية والمكدين) ، أما أول من كتب في هذا المجال فهو ابن دريد الازدي (ت ٣٢١هـ)[١٥] إذ كتب جملة من الأحاديث الأدبية بلغت نحو الأربعين حديثا حفظ قسم منها في كتاب الأمالي لأبي علي القالي[١٦] .

وجاء بعدهما احمد بن فارس الرازي (ت ٣٩٥هـ)[١٧] فكتب مقامات لم تصل إلينا ، ثم ظهر تلميذه بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨هـ) فكتب مقاماته التي اختلف في عددها كما اختلف فيمن ابتكرها وأول من كتبها .

ويعطينا الحريري (ت ٥١٦هـ)[١٨] جوابًا للاختلاف الأخير بقوله[١٩] : ((وبعد فانه قد جرى ببعض أندية الأدب الذي ركدت في هذا العصر ريحه .. وخبت مصابيحه .. ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان .. علامة همذان رحمه الله تعالى .. الخ)) . واتبعه القلقشندي بقوله[٢٠] : ((واعلم أن أول من فتح باب المقامات ، علامة الدهر ، وإمام الأدب البديع الهمذاني : فعمل مقاماته المشهورة المنسوبة إليه ، وهي في غاية البلاغة ، وعلو الرتبة في الصنعة ..)) .

أما زكي مبارك فقد ذكر أن كلام الحريري كان السبب في انتشار فضل السبق لبديع الزمان بأنه أول من ابتكر فن المقامة ، ويؤكد ذلك بقوله[٢١] : ((وقد وصلت إلى أن بديع الزمان ليس مبتكر فن المقامات ، وإنما ابتكره ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ..) مستشهدا بنص للحصري في (زهر الآداب) يوضح دلالة ما ذهب إليه . قائلا : قال أبو إسحاق الحصري حين عرض لكلام بديع الزمان[٢٢] .

((كلامه غض المكاسر ، أنيق الجواهر ، يكاد الهواء يسرقه لطفا ، والهوى يعشقه ظرفًا ، ولما رأى ابا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي اغرب بأربعين حديثا وذكر انه

استنبطها من ينابيع صدره ، واستنخبها من معادن فكره ، وأبداها للأبصار والبصائر ، وأهداها للأفكار والضمائر ، في معارض عجمية ، وألفاظ حوشية ، فجاء أكثر ما اظهر تنبو عن قبوله الطباع ، ولا ترفع له حجبها الإسماع ، وتوسع فيها ، إذ صرف ألفاظها ومعانيها ، في وجوه مختلفة ، وضروب متصرفة ، عارضها بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفا وتقطر حسنا ، لا مناسبة بين المقامتين لفظا ولا معنى ، وعطف مساجلتها ، ووقف مناقلتها بين رجلين : سمى احدهما عيسى بن هشام ، والآخر آبا الفتح الإسكندري ، وجعلهما يتهاديان الدر ، ويتنافثان السحر ، في معان تضحك الحزين ، وتحرك الرصين ، يتطلع منها كل طريفة ، ويوقف منها على كل لطيفة ، وربما افرد أحدهما بالحكاية ، وخص أحدهما بالرواية)) .

وقد عارض الرافعي رأي زكي مبارك بشدة فكتب مقالا[٢٣] يفند فيه ما ذهب زميله بأدلة رصينة تبين ضعف الحجة في قول الحصري ، وهي بإيجاز ((أن الحصري انفرد بهذا الخبر ولم يشاركه فيه احد .. فلم يذكر الثعالبي شيئا من هذا القبيل مع انه عاصر الهمذاني ، وعرف نثر القدامى والمحدثين وشعرهم .. بينما الحصري رجل من القيروان لم يعرف عن رواية ولا رحل إلى العراق ..)) .

فلا ضير ان قلنا بان الهمذاني تأثر بأدباء عصره بشكل عام وليس بابن دريد فحسب وقد أورد لنا الكك[٢٤] موازنة بين أحاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني تغنينا عن التعليق على رأي زكي مبارك ، وهي : ((والحقيقة أن الناظر في أحاديث ابن دريد يرى صلة بينها وبين مقامات الهمذاني ، فالأحاديث تقوم على حكاية مسندة كالمقامات وان تعدد السند ، ثم أنها تعتمد السجع وان لم تلتزمه دائما وتغرف من بحر الغريب غرفا ، وفيها إلى ذلك النوادر والحكم والخطب والنكت الأدبية واللغوية .

إلا أن وجوه الاختلاف لأتقل عن وجوه الشبه كثرة ونوعا ، فللمقامات راوية واحد وبطل واحد ، أما الأحاديث فأبطالها متعددون مختلفون في البيئة والتاريخ ، وغرض ابن دريد هو الإشادة بشمائل العرب ومناقبهم ورسوخ قدمهم في الفصاحة ، وليس في المقامات شيء من ذلك بل كدية واحتيال ، والفن أرقى في المقامات منه في الأحاديث صياغة ولغة وحسن رواء ، لأنها الفت للبلغاء ، من الخاصة بخلاف الأحاديث فأنها من منهل الأدب المشترك)) .
ويعترف زكي مبارك بهذه الخاصة الفنية المميزة إذ يقول[٢٥] : ((ومع أن ابن دريد هو المبتكر لفن المقامات فان عمل بديع الزمان في هذا الفن أقوى واظهر ، وطريقته في القصص تختلف عن طريقة ابن دريد ، والذين كتبوا مقامات بعد ذلك لم يكن في أذهانهم غير فن بديع الزمان ، فهو بذلك منشئ هذا الفن في اللغة العربية ولم تسم تلك القصص بعد ذلك أحاديث كما سماها ابن دريد وأنها سميت مقامات كما سماها بديع الزمان)) .

اشهر أعلام المقامة قديما وحديثا :

لقد أورد فيكتور الكك في كتابه (بديعات الزمان) قائمة بأصحاب المقامات في اللغة العربية نقلا عن ترجمة للمستشرق بلاشير للمقامات ضمن ثلاثة وستين أديباً ، رتبهم على وفق التسلسل التاريخي ، ثم تبعهم بالكتاب غير معروفي التاريخ فبلغ العدد ستة وسبعون أديباً، وهناك آخرون ذكرهم يوسف نور عوض في كتابه (فن المقامات بين المشرق والمغرب) وعبد الرحمن ياغي في كتابه (رأي في المقامات) .

أما اشهر الأعلام قديماً وحديثاً فهم :

١. بديع الزمان الهمذاني (ت ٣٩٨ هـ) .
٢. ابن نباتة السعدي (ت ٤٠٥ هـ) .
٣. ابن ناقيا (ت ٤٨٥ هـ) .
٤. أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) .
٥. الحريري (ت ٥١٦ هـ) .
٦. الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) .
٧. ابن صقيل الجزري (ت ٧٠١ هـ) .
٨. الرازي (ت ٧٣٠ هـ) .
٩. السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
١٠. أبو الثناء الالوسي (ت ١٨٥٣ م) من العراق .
١١. ناصيف اليازجي (ت ١٨٧١م) من لبنان .
١٢. محمد المويلحي (ت ١٩٣٠) من مصر .

وإذا اقتصرنا على اشهر اثنين من الأعلام فهما : (الهمذاني والحريري) وقد أدرج صفاء خلوصي مقارنة مفصلة لمقامتهما موضحا الأسلوب الذي نهجاه في كتابة مقاماتهما ، في مجلة المعلم الجديد ص ٢٤ ــ ٢٥ .

المقامة الدينارية لبديع الزمان الهمذاني :

قبل عرض نص المقامة الدينارية لا بد من التعريف بترجمة موجزة لكاتبها وهو :

بديع الزمان الهمذاني : أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني ، ولد سنة ٣٥٧هـ في مدينة همذان ــ إحدى مدن إيران الجبلية ــ درس اللغة والأدب وتعمق فيهما تعمقا ظهر أثره في نثره وشعره ... انتقل إلى نيسابور سنة ٣٨٢هـ ، وكانت يومها موطنا لعالم اللغة والأدب وجليس الملوك والأمراء أبي بكر الخوارزمي (ت ٣٩٢ هـ) ناظره الهمذاني فغلبه وذاع صيت بديع الزمان في الأمصار الإسلامية ، مما احزن

الخوارزمي فمات في العام نفسه ... فخلا الجو للهمذاني عند الملوك والأمراء ، واخذ يتنقل إلى أن استقر بهراة[٢٦] لكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين عام ٣٩٨هـ .

أما تسميته بـ(بديع الزمان) فقد نعته بها الثعالبي في يتيمة الدهر قائلا[٢٧] : ((بديع الزمان ، ومعجزة همذان ، نادرة الفلك ، وفرد الدهر ، وغرة العصر ، وصاحب عجائب ، وبدائع ، وغرائب ...)).

ومن يتدبر أخباره في ذكائه وذاكرته وسرعة خاطره يكاد يحسبها معجزات فمن غرائب حافظته ما ذكره الثعالبي أيضاً : ((انه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط ، وهي أكثر من خمسين بيتا فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى أخرها لا يخرم بيتا ولا يخل بمعنى، وينظر في الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهزها عن ظهر قلبه هذا ويسردها سردا ..)).

أما عدد مقامات بديع الزمان ففيها اختلاف لأنه ذكر في مقامتين له انه الف أربعمائة مقامة ، في حين أن بعض المؤرخين اعتبروا عدد مقاماته نيفا وخمسين .. ومنهم زكي مبارك في حين يستدل بمقولة الحصري على أن مبتكر المقامة هو ابن دريد بينما لا يستدل بها على تأليف الهمذاني أربعمائة مقامة .. على كل حال فإن بديع الزمان هو منشئ فن المقامات والمعلم الأول لها في الأدب العربي بلا نقاش ..

نص المقامة الدينارية :

((حَدَّثَنا عيسى بنُ هشام قالَ : اتَّفَقَ لي نَذْرٌ نَذَرْتَهُ في دينارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلى أَشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ . وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَدُلِلْتُ عَلَى أَبِي الفَتْحِ الإِسْكَنْدَرِيِّ ، فَمَضَيْتُ إِلَيهِ ، لأَتَصَدَّقَ عَلَيهِ ، فَوَجَدْتُهُ فِي رُفْقَةٍ قَدِ اجْتَمَعَتْ عَلَيهِ فِي حَلْقَةٍ فَقُلْتُ : يَا بَنِي سَاسَانَ أَيُّكُمْ أَعْرَفُ بِسِلْعَتِهِ ، وَأَشْحَذُ فِي صَنْعَتِهِ ، فَأُعْطِيهِ هذَا الدِّينَارَ ، فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : أَنَا . قَالَ آخَرٌ مِنَ الجَمَاعَةِ : لا بَلْ أَنَا . ثُمَّ تَنَاقَشَا وَتَهَارَشَا حَتَّى قُلْتُ : لِيَشْتُمَ كُلٌّ مِنْكُمَا صَاحِبَهُ ، فَمَنْ غَلَبَ سَلَبَ . وَمَنْ عَزَّ بَزَّ . فَقَالَ الإِسْكَنْدَرِيُّ : يَا بَرْدَ العَجُوزِ ، يَا كُرْبَةَ تَمُّوزٍ ، يَا وَسَخَ الكُوزِ ، يَا دِرْهَمًا لا يَجُوزُ ، يَا حَدِيثَ المُغَنِّينَ ، يَا سَنَةَ البُؤسِ ، يَا كَوكَبَ النُّحُوسِ ، يَا وَطْءَ الكَابُوسِ ، يَا تُخْمَةَ الرُّؤُوسِ ، يَا أُمَّ حُبِينٍ ، يَا رَمَدَ العَينِ ، يَا غَدَاةَ البَينِ ، يَا فِرَاقَ المُحِبِّينَ ، يَا سَاعَةَ الحَينِ ، يَا مَقْتَلَ الحُسَينِ ، يَا ثِقَلَ الدَّينِ ، يَا سِمَةَ الشَّينِ ، يَا بَرِيدَ الشُّومِ ، يَا طَرِيدَ اللُّومِ ، يَا ثَرِيدَ الثُّومِ ، يَا بَادِيَةَ الزَّقُّومِ ، يَا مَنْعَ المَاعُونِ ، يَا سَنَةَ الطَّاعُونِ ، يَا بَغْيَ العَبِيدِ ، يَا آيَةَ الوَعِيدِ ، يَا كَلامَ المُعِيدِ ، يَا أَقْبَحَ مَنْ حَتَّى فِي مَوَاضِعَ شَتَّى ، يَا دُودَةَ الكَنِيفِ ، يَا فَرْوَةً فِي المَصِيفِ ، يَا تَنَحْنُحَ المُضِيفِ إِذَا كُسِرَ الرَّغِيفِ ، يَا جُشَاءَ المَخْمُورِ ، يَا نَكْهَةَ الصَّقُورِ ، يَا وَتَدَ الدُّورِ ، يَا خُذْرُوفَةَ القُدُورِ ، يَا أَرْبِعَاءَ لا تَدُورُ ، يَا طَمَعَ المَقْمُورِ ، يَا ضَجَرَ اللِّسَانِ ، يَا بَوْلَ الخِصْيَانِ ، يَا مُؤاكَلَةَ العِمْيَانِ ،

يَا شَفَاعَةَ العُرْيَانِ ، يَا سَبْتَ الصِّبْيَانِ ، يَا كِتَابَ التَّعَازِي ، يَا قَرَارَةَ المَخَازِي ، يَا نَجْلَ الأَهْوَازِيِّ ، يَا فُضُولَ الرَّازِي ، وَاللهِ لَو وَضَعْتَ إِحْدَى رِجْلَيْكَ عَلَى أَرْوَنْدَ ، وَالأُخْرَى عَلَى دُمَاوَنْدَ ، وَأَخَذْتَ بِيَدِكَ قَوسَ قُزَحَ وَنَدَفْتَ الغَيْمَ فِي جِبَابِ المَلائِكَةِ مَا كُنْتَ إِلاَّ حَلاَّجًا .

وَقَالَ الآخَرُ :

يَا قَرَّادَ القُرُودِ ، يَالَبُودَ اليَهُودِ ، يَا نَكْهَةَ الأَسُودِ ، يَا عَدَمًا فِي وُجُودٍ ، يَا كَلْبًا فِي الهَرَاشِ ، يَا قِرْدًا فِي الفِرَاشِ ، يَا قَرْعِيَّةً بِمَاشٍ ، يَا أَقَلَّ مِن لاشٍ ، يَا دُخَانَ النِّفْطِ ، يَا صَنَانَ الإِبْطِ ، يَا زَوَالَ المُلْكِ ، يَا هِلالَ الهُلْكِ ، يَا أَخْبَثَ مِمَّنْ بَاءَ بِذُلِّ الطَّلاقِ ، وَمَنْعَ الصَّدَاقِ ، يَا وَحْلَ الطَّرِيقِ ، يَا مَاءً عَلَى الرِّيقِ ، يَا مُحَرِّكَ العَظْمِ ، يَا مُعَجِّلَ الهَضْمِ ، يَا قَلَحَ الأَسْنَانِ ، يَا وَسَخَ الآذَانِ ، يَا أَجَرَّ مِنْ قَلْسٍ ، يَا أَقَلَّ مِنْ فَلْسٍ ، يَا أَفْضَحَ مِنْ عَبْرَةٍ ، يَا أَبْغَى مِنْ إِبْرَةٍ ، يَا مَهَبَ الخُفِّ ، يَا مَدْرَجَةَ الأَكُفِّ ، يَا كَلِمَةَ لَيْتَ ، يَا وَكَفَ البَيتِ ، يَا كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَاللهِ لَو وَضَعْتَ اسْتَكَ عَلَى النُّجُومِ ، وَدَلَّيتَ رِجْلَكَ فِي التُّخُومِ ، وَاتَّخَذْتَ الشِّعْرَى خُفًّا ، وَالثُّرَيَّا رَفًّا ، وَجَعَلْتَ السَّمَاءَ مِنْوَالاً ، وَحِكْتَ الهَوَاءَ سِرْبَالاً ، فَسَدَّيْتَهُ بِالنَّسْرِ الطَّائِرِ ، وَأَلْحَمْتَهُ بِالفُلْكِ الدَّائِرِ ، مَا كُنْتَ إِلاَّ حَائِكًا .

قالَ عيسى بنُ هِشامٍ : فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ أَيُّ الرَّجُلَينِ أُؤثِرُ ، وَمَا مِنْهُما إِلاَّ بَدِيعُ الكَلامِ ، عَجِيبُ المَقَامِ ، أَلَدُّ الخِصَامِ ، فَتَرَكْتُهُمَا وَالدِّيْنَارُ مُشَاعٌ بَيْنَهُمَا ، وَانْصَرَفْتُ وَمَا أَدْرِي مَا صَنَعَ الدَّهْرُ بِهِمَا)) .

عيسى بن هشام : هو راوية بديع الزمان ، وقد يكون من صنع الخيال .

أبو الفتح الإِسْكَنْدَرِيُّ : هو بطل اغلب المقامات لبديع الزمان ، وهو أيضا شخصية خيالية .

بنو ساسان : الشحاذون وأهل المسألة ، وساسان رجل فقير حاذق في الاستعطاء دقيق الحيلة في الاستجداء فنسب إليه المكدون ، واصل الكلمة هو الساسانية بعد زوال دولة الفرس وكان يقصد بها التحقير لساسان وانه جد أو شيخ السفلة ..

السلعة : ما يتجر به من المتاع ، ومتاع الشحاذين هو تزوير الكلام في الاستجداء .

تهارشا : تواثبا وتخاصما .

من غلب سلب : أي من غلب خصمه سلب ما من حقه أن يكون له .

عز بز : قوي وامتنع . بز : أي سلب من ذل له ما له كله .

برد العجوز : أيام الشتاء الباردة وهي سبعة أيام معروفة .

كربة تموز : تموز: اسم شهر . والمعنى هو ضيق النفس من شدة الحر .

الكوز : ما تتقزز منه النفس .

الدرهم الذي لا يجوز : المغشوش الذي لا يروج .

حديث المغنين : كلام المغنين أثناء غنائهم مما يزعج السامع .

سنة البؤس : سنة الجدب .

الكابوس : ما يقع على الإنسان ليلا وهو أثقل شيء على النائم .

تخمة الرؤوس : ما يصيب الرأس عند فساد الطعام في المعدة .

أم حبين : دابة صغيرة كريهة المنظر .

الغداة : بعد الأحبة .

الحين : الموت .

مقتل الحسين : موضع قتله وهو أشأم موضع ، لكونه قتل بسيف ظالم وهو مظلوم .

سمه الشين : السمة العلامة . والشين : ما يستحى من نسبته .

بريد الشوم : رسول الأخبار المؤلمة .

الزقوم : هو أخبث شجر مر يخرج بأراضي تهامة .

الماعون : كل ما يستعار من أدوات المنزل . جعله الله من صفات الكذابين بيوم الدين .

بغي العبيد : العبد عندما يؤذي يقبح .

آية الوعيد : ما يحزن سامعه .

كلام المعيد : الكلام المكرر يكون مزعجا للسامع .

الكنيف : مكان القذارة والفضلات .

جشاء المخمور : شارب الخمر وجشاؤه يكون نتنا .

نكهة الصقور : ريح الفم والصقور تأكل اللحوم فهي أخبث حيوان نكهة .

الوتد : قطعة الخشب التي تثبت في الأرض أو الحائط .

خذروفة القدور : ما يصنع من الطين ليوضع عليه القدر .

أربعاء: المقصود به آخر أربعاء من شهر صفر ويعتبره الناس يوم نحس.

المغمور : المغلوب في لعب القمار .

حنجر اللسان : يخرج كلاما قد يهلك صاحبه .

بول الخصيان : ينتشر فيلوث البدن .

شفاعة العريان : شفاعة المحتاج وطلبه .

سبت الصبيان : بداية الأسبوع ويكون ثقيلا على الصبيان لكونه يأتي بعد يوم عطلة .

قرارة المخازي : القرارة : القاع الذي يتجمع به ماء المطر . المخازي : جمع مخزاة وهو من الخزي ..

الاهوازي : من كان من أهل الأهواز .

فضول الرازي : الرازي مدينة في الديلم . والفضول : هو زيادة الكلام المثقل على النفس .

اروند، دُماوند : أسما جبلين مشهورين الأول في همدان والثاني في الري.

البود : هو القراد .

القرعية بماش : طعام يصنع من القرع ، وإذا خلط بالماش يكون طعمه كريها .

لا ش : لا شيء .

صنان الإبط : رائحة الإبط وعرقه .

باء بذل الطلاق : استحق مذلة الطلاق .

محرك العظم : الحمى الشديدة من البرد والقشعريرة .

معجل الهضم : المسهل .

قلح الأسنان : ما يعلوها من صفرة أو خضرة .

القلس : حبل متين من ليف أو خوص يستعمل لسحب سفن البحر .

اجر منه : أي جذب، وهو مبالغة بالهوان .. ورويت (يا أخس من قلس) .

العبرة : البكاء .

أبغى من أبرة : الإبرة : للوخز فمن كان شأنه فهو باغ على الناس .

مهب الخف : أي مكان انتقال الحق .

مدرجة الأكف : أي مكان الصفع بالأكف .

كلمة ليت : لا تقال إلا عند الندامة .

كيت وكيت : كل ما يستحى من ذكره من أنواع السباب .

الرف : الثوب الناعم .

المنوال : آلة الحياكة .

السربال : الثوب .

سدى الثوب : ما مد من خيوطه ، واللحمة : ما به مع السدى يتم الثوب .

النسر الطائر : صورة من الكواكب .

شرح وتحليل المقامة الدينارية :

بديع الزمان الهمذاني أديب ثائر .. متمرد على الواقع الذي عاش فيه ، عبر عن ثورته وتمرده بالطرق المقلوبة ... واتخذ في تصوير هذه الثورة وذلك التمرد وسائل تعبير غير مباشرة .. فهو حين يصور حال الأديب على هذا النحو ، إنما يدين عصره وموازين عصره .. ومن هنا نستطيع أن نقول : انه صاحب مسرح ساخر ، متمرد ، ثائر على قيم عصره وتقاليده ووسائط ثرائه ..

فقدرته الفنية وانتقاله بين الأمصار ، وتجاربه في الحياة ، أغدقت عليه خبرة واسعة ، هيأت له مثل هذه الثورة ، ومثل هذا التمرد .. امتزج مع روح المغامرة التي تسري في عروقه ، وما عاناه في ترحاله من سطو وتسليب من شذاذ الآفاق ..

فهذه الخبرة بقضايا الحياة ، ومشكلاتها ، وان جاءت في بعض الأحيان في صور فنية مقلوبة ، فهي تبعث على التمرد وقلب الأوضاع . وما يصحبها من أحساس بالمرارة ، هذه الخبرة أمدته بمادة أعانته على رسم ملامح بطل مقاماته أبي الفتح الاسكندري ، مجربا ، شديد المراس .. يعرف متى وكيف يدخل الحياة من أوسع أبوابها ، ويتذوق حلاوتها ، ويصبر على مرارتها .. وما سبيل التسول والكدية إلا تمرد وتعبير عن نقمة تغلي بها صدور أهل الأدب على موازين العصر التي قست على العلماء والأدباء حتى جعلتهم يتساقطون في منحدر الحياة ، ليتلمسوا الرزق عن طريق الكدية .. وكأن العقل والعلم والأدب لا تجدي نفعا .

فموضوع المقامة عند الهمذاني تقديم صورة شاملة لواقع بيئته حاملا من خلالها ثورته على ذلك النظام .. فالكدية والحيلة بأسلوب ساخر ظريف ، وكثرة الشحاذين هي ابرز مواضيع المقامة عند الهمذاني فضلا عما تكتنزه من غاية تعليمية وأدبية ، ولا ننسى الجو العام الذي عاشه ... وفي هذا الصدد يطالعنا يوسف نور عوض بصورة واضحة لما أردنا قوله في موضوعات مقامات الهمذاني قائلا[٢٨] : ((حرص بديع الزمان على أن تقدم موضوعات مقاماته صورة كاملة لواقع المجتمع العباسي الذي عاش فيه .. فقد عرى في ذلك المجتمع أساليب الخور والضعف وأبان ما اعتراه من زيف ونفاق في سبيل كسب لقمة العيش ... وإما عنصر الثورة في نفسه فقد تجلى في بصيرة الفنان الذي لم تفته ظاهرة من الظواهر المكونة لمجتمعه)) .

وإذا نظرنا إلى هذه المقامة التي بين أيدينا ، نجدها للوهلة الأولى وعاء للتعبيرات الغريبة واللغات الوعرة والبلاغة المعقدة والصياغة الفنية الأدبية .. لكنها في حقيقتها تتضمن كشف العيوب الإنسانية والاجتماعية التي كانت تسوي في المجتمع آنذاك ووضع البدائل لها في بعض الأحيان .

فهي تجربة لفنان عبقري عانى من اضطهاد مختلف ، فلم يستطع تحقيق طموحه لضعف حيلته ، فانتقم لإخفاقه بصياغة هذا الأنموذج الفني الذي كشف مواطن الضعف في واقع المجتمع العباسي .

فنراه يجمع ظاهرتين أساسيتين هما : الثورة الاجتماعية والصراع بين الخير والشر ، وفي مقامته الدينارية كيف صور لنا أن راويته عيسى ابن هشام يريد الوفاء بنذره إلى اشحذ رجل في بغداد ، وهي عرض حالة الكدية والتسول كظاهرة منتشرة في بغداد ، مما تسهل للشخص حرية اختيار أكثرهم فاقة وتسولا ..

أي مجتمع هذا الذي يصوره لنا الأديب ؟ خلفاء وأمراء يتسابقون في البذخ والإسراف ! . وطبقة معدمة تتجمع لتبتكر وسائل التكسب وجمع المال !.. وكيف يصف لنا عيسى بن هشام ، وقد أشعل فتيل الفتنة بين المتسولين .. ووقف يستمع إلى مهاتراتهم الكلامية ، واستعمالهم الألفاظ المقذعة التي رمى كل منهما خصمه بل صاحبه بها ...

من خلال هذه المناظرة نجده وقد عرى ظواهر اجتماعية ممقوتة من الناس .. وخرج بحقائق بل بديهيات ثابتة : فمن غلب سلب .. ومن عز بز .. ومعاناة المجتمع من حالات منتشرة مثل : زيف الدراهم وتخمة الرؤوس .. وثقل الدين ، وجريمة الحسين .. ثم كيف يكشف الظواهر المنبوذة في المجتمع الإسلامي مثل : الخمرة ، والقمار ، والطمع ، وثرثرة اللسان ، واستغلال الضعفاء وسلب ما لديهم .. (مواكلة العميان) ، ثم ما هذه المناحرات والعصبية الدائرة في المجتمع فهذا نجل اهوازي وذاك رازي .. وغيرها من أساليب التفرقة المتفشية ...

كما يؤكد اثر الذل وأبعاده بقوله : (مدرجة الأكف .. وكلمة ليت) والمغالاة في الظلم معبرا عنه ببغاء الإبرة ..

ثم يختم عرضه لهذه الظواهر ويلملم الصورة التي رسمها بقلم فني متمكن بحقيقة ثابتة وهي : مهما قدم الشخص في مجتمع كهذا من أعمال خارقة لن يستطيع تغيير الواقع المر الذي يعانيه ..

فالمقامة الدينارية جاءت صورة أدبية رائعة ولوحة فنية متكاملة ، بدأت بمقدمة ، ثم عرض للموضوع ، وخاتمة . اعتمدت أسلوب الحوار ، وأحداث كانت في مشهد واحد ، وبطل واحد .. استخدم فيها فنون البديع من جناس وطباق .. فالتضاد جاء بصورة واضحة جلية بقول: (تناقشا وتهارشا ، وغلب سلب ، عز بز ، وبرد العجوز ، كربة تموز ، وابغي من أبرة ، ومدرجة الأكف) والترادف الحاصل بقوله : (سنة البؤس ، كوكب النحوس ، ووطء الكابوس وتخمة الرؤوس .. ، فراق المحبين ، وساعة البين ..) وخيال خصب عميق بحيث يجعل (الثريا رفاً والسماء منوالا، والهواء سربالا .. فسديته تكون بالنسر الطائر ، ولحمته بالفلك الدائر..)

ثم التمكن والقدرة العالية في تطويع اللغة وفنون البديع بلباقة وذكاء شديدين لإخراج مقال منمق،متواصل ، مترابط ، لأخرم فيه ، ولا توقف ، فضلاً عن حسن استعمال السجع.

صور لنا بديع الزمان حقائق كثيرة ومظاهر اجتماعية مدانة عديدة ونتائج بديهية ، لا يمكن تجاوزها أو تغييرها أو أبعادها عن حال الأفراد لأنها سماء أطبقت على الجميع .. صورها لنا بأسلوبه الساخر المضحك مع كلمات مقذعة وألفاظ فاحشه استبعد قسما منها جامع المقامات الشيخ محمد عبده وذكرها في مقدمة المقامات .

هوامش البحث وقائمة المصادر والمراجع

(١) شوقي ضيف ، المقامة ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤م ٧-٨ . وبروكلمان ، دائرة المعارف الإسلامية /١١٨ . زكي مبارك . النثر الفني في القرن الرابع ٢٠١/١ . فيكتور الكك ، بديعات الزمان ، تقديم : فؤاد افرام البستاني ، بيروت ، مط الكاثوليكية ، ١٩٦٠م ٤٣ . عبد الرحمن ياغي ، ؛ رأي في المقامات،بيروت،المكتب التجاري ، ١٩٦٩م ١٨ .

(٢) الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى .

(٣) زهير بن أبي سلمى ، ديوان زهير ، القاهرة ، دار الكتب /١١٣ .

(٤) غلب : جمع أغلب وهو الغليظ الرقبة ، الحصير : الملك .

(٥) ديوان لبيد /٣٩ .

(٦)القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشا ،القاهرة،مط كوستاتسوماس وشركاؤه ، ١٩٦٣م ، ١١٠/١٤ .

(٧) سورة فاطر الآية ٣٥ .

(٨) شوقي ضيف ، المقامة /٩ .

(٩) فيكتور الكك ، بديعات الزمان /٩٨ .

(١٠)صفاء خلوصي (أدب المقامات أو الفن الاقصوصي المسجع) في مجلة المعلم الجديد ، بغداد ، ١٩٦٢م ، ٧.

(١١) فيكتور الكك ، بديعات الزمان /٩٨ .

(١٢) شوقي ضيف ، المقامة /٩ .

(١٣) الكدية : لفظة فارسية الأصل معناها التسول ، دخلت اللغة العربية وكثر استعمالها ، فاشتقوا منها كدى واسم الفاعل (مكدي) ، إلا أنها تعني التسول متنكرا لابتزاز الأموال .

(١٤) الجاحظ (ت ١٦٣-٢٥٥هـ) هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الليثي كبير أئمة الأدباء ورئيس فرقة المعتزلة . بصري المولد والوفاة . قتلته مجلدات الكتب وقعت عليه . له تصانيف كثيرة . ينظر : الزركلي ، خير الدين. الإعلام ؛ قاموس تراجم ، ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩م ٢٣٩/٥ .

(١٥) ابن دريد الازدي (٢٢٣-٣٢١هـ) هو أبو بكر محمد بن الحسن من أئمة اللغة . بصري المولد . ينظر : الإعلام للزركلي ٣١٠/٦ .

(١٦) القالي : أبو علي (ت ٣٥٦هـ) من مدينة (قالي قلا) بارحينا ، درس في بغداد سنة ٩١٥م وغادرها إلى المغرب وقرطبة سنة ٩٣٩م وأصبح أستاذ النحو ، وعرف الكتاب الذي أعده على طلبته في الأندلس (كتاب الامالي) . ينظر : الإعلام للزركلي ٣١٩/١,

(١٧) الرازي (٣٢٩-٣٩٥هـ) : هو أبو الحسين احمد بن فارس القزويني . من أئمة اللغة والأدب . له تصانيف عدة . ينظر الإعلام للزركلي ١٨٤/١ .

(١٨) الحريري (٤٤٦-٥١٦هـ) هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد البصري الأديب الكبير صاحب المقامات الحريرية . ينظر : الإعلام للزركلي ١٢/٦ .

(١٩) مقدمة : مقامات الحريري ، القاهرة ؛ وزكي مبارك ، النثر الفني ، ٢٤٣/١ ؛ عبد الرحمن ياغي ٧٠ .

(٢٠) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ١١١/١٤ .

(٢١) زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، ٢٤٣/١ .

(٢٢) أبو إسحاق الحصري أبو إسحاق الحصري ، زهر الآداب وثمر الألباب ، ط٤ ، تحقيق : زكي مبارك ، بيروت ، دار الجليل ، ط ٢ / ١٩٧٢م ٣٠٧/١ ، وزكي مبارك ، النثر الفني ، ٢٤٣/١ .

(٢٣) مصطفى صادق الرافعي (خطأ في إصلاح خطأ حول نشأة المقامات) في مجلة المقتطف ، ٧٧ / ٥٨٨ -٥٩٠ .

(٢٤) فيكتور الكك ، بديعات الزمان /٥٤ .

(٢٥) زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ، ط٢ ،٢٤٦/١-٢٤٧ .

(٢٦) هراة : مدينة في أفغانستان .

(٢٧) الثعالبي ، يتيمة الدهر في مجلس أهل العصر ، دمشق ، ٢٤٠/٤ .

(٢٨)يوسف نور عوض ، فن المقامات بين المشرق والمغرب ، بيروت ، دار القلم ، ١٩٧٩م ١١٠ .